السؤال الأول:

من هو مؤسس المسيحية، يسوع المسيح أم بولس؟ وهل أسس يسوع ديناً عالمياً، أم قصر جهوده على شعب اليهود؟ ألم يستخدم بولس اسم يسوع وشهرته في إذاعة آرائه؟ وهل كان يسوع سيد بولس؟

(ع. م. بيروت - لبنان)

قال بعض النقاد إنَّ بولس استخدم اسم يسوع المسيح ونفوذه لإذاعة آرائه، كما فعل أفلاطون في استخدام اسم سقراط. وبينما يضع بولس يسوع في مرتبة الكرامة العليا، نراه هو يعلو إلى مرتبة أعلى من سيّده. والمعروف أنَّ بولس لم يعرف يسوع بالجسد. أفلا يمكن أن يكون الدين الذي أنشأه بولس تركز حول شخصية خيالية، ليس يسوع التاريخ، بل هو مثل أعلى رسمه بولس في خيالاته؟ - انتهى قول الناقد-

مثل هذا الزعم يمكن دحضه بدراسة بشارة يوحنا ورسائله، فهذا الرسول لا يمت إلى بولس بأية صلة، ولم يتلقَّ مسيحيّته عند قدمي بولس، بل كان أحد صحابة يسوع، وقد لُقّب «بالتلميذ الذي كان يسوع يحبه» وكتب يوحنا لنا شهادته عن أمجاد يسوع بيقين شاهد العيان، إذ يقول: «وَٱلْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ ٱلآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً» (الإنجيل بحسب يوحنا ١:١٤)... «اَلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلْبَدْءِ، ٱلَّذِي سَمِعْنَاهُ، ٱلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، ٱلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ ٱلْحَيَاةِ. فَإِنَّ ٱلْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلأَبَدِيَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ عِنْدَ ٱلآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا. ٱلَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضاً شَرِكَةٌ مَعَنَا.

وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ ٱلْآبِ وَمَعَ ٱبْنِهِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ» (ايوحنا ١:١-٣)...«نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ ٱللهِ، وَٱلْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي ٱلشِّرِّيرِ. وَنَعْلَمُ أَنَّ ٱبْنَ ٱللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ ٱلْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي ٱلْحَقِّ فِي ٱبْنِهِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. هٰذَا هُوَ ٱلْإِلٰهُ ٱلْحَقُّ وَٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ» (١ يوحنا ٥:١٩ و٢٠).

وحين نقرأ بشارة يوحنا ورسائله نرى أنَّ يوحنا البشير والرسول الملهم، يضع يسوع في مكانة فائقة السمو، كما يضعه بولس، ويصوره شخصية عالمية عميقة الأثر في تاريخ الإنسانية كما يصوره بولس. ولا نندهش من هذا التوافق، لأن يسوع هو الذي ألهم بولس ويوحنا كليهما. فكيف يزعم مكابر أنَّ بولس هو مؤسس المسيحيّة! على أنَّ مثل هذا الزعم الذي يذهب إليه بعضهم يثبت لنا أنَّ مسيحيّة العصر الرسولي لم تكن صورة مخفضة لمسيحيّة المسيح. أما التعليل الصحيح فهو أنّ المسيح له المجد استمر مع أتباعه بروحه القدوس الذي أرسله إليهم.

ولكي يكتمل اقتناعنا في هذا الاتجاه، لنتعقب تاريخياً العلاقة الصحيحة بين فكرة يسوع العالمية وبين فكرة رسله الأوَّلين. ولدى التأمل بعمق في أعمال ربنا يسوع وتعاليمه في هذا الصدد يجب أن نواجه ثلاثة احتمالات: فإما أن يكون يسوع قد قصد عمداً حصر إنجيله

وملكوته في الأمة اليهودية وإقصاء الأمم، وإما أنّه لم يتعرض لمسألة إدخال الأمم في نطاق دعوته، وإما أن يكون قصد فعلاً إدخال البشرية كلها.

لما أرسل الاثني عشر للكرازة، أوصاهم قائلاً: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ ٱذْهَبُوا بِٱلْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ» (الإنجيل بحسب متى ١٠:٥-٦). ولكن هذا التخصيص لم يكن مقصوداً به أمراً دائماً، بل كان مقتصراً على مهمة معينة بالذات، لأننا في نصوص الإنجيل نرى من الأدلة ما يؤكد لنا أنَّ يسوع كان يفتح قلبه وحياته ورسالته لجميع بني البشر على اختلاف جنسياتهم. فقد تحدث بعطف ومودة وكشف ذاته لامرأة من السامريين عند بئر يعقوب، ثم ظل يومين في مدينتها يعلم شعبها (الإنجيل بحسب يوحنا ٤:٤-٤٢). وقام برحلة إلى تخوم صور وصيداء، وهناك شفى ابنة امرأة أممية كنعانية وامتدح إيمانها (الإنجيل بحسب متى ١٥:٢١-٢٨).

ومرة كان ماراً بالسامرة والجليل وأبرأ عشرة برص، كان بينهم سامرياً (الإنجيل بحسب لوقا ١٧:١١-١٤) وفي كفرناحوم شفى غلام قائد مئة روماني وثني (الإنجيل بحسب متى ٨:٥-١٣). ويخبرنا يوحنا الإنجيلي أنه فرح وتهلل يوم جاء وفد يوناني لمقابلته في أورشليم (الإنجيل

بحسب يوحنا ١٢:٢٠-٢٣). ويخبرنا متى الإنجيلي أنَّ يسوع بعد القيامة أمر تلاميذه أنَّ يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (الإنجيل بحسب متى ٢٨:١٩) ويخبرنا مرقس الإنجيلي أنَّ يسوع قال لتلاميذه قبيل صعوده إلى السماء: «ٱذْهَبُوا إِلَى ٱلْعَالَمِ أَجْمَعَ وَٱكْرِزُوا بِٱلْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا» (الإنجيل بحسب مرقس ١٦:١٥). فهذا كله يدل بما لا يقبل الجدل على أنَّ رسالة المسيح هي رسالة عالمية.

قد ينبري بعضهم لاستبعاد كل ما يخالف نظرياتهم، فيقول إن هذه الأخبار دُسَّت في البشائر في وقت متأخر، بواسطة قادة الكنيسة. لذلك أرى لزاماً عليَّ أن أسوق بعض الملاحظات التي يتعذر على أحد الزعم أنها حُشرت بين السطور في وقت متأخر:

فأول ما نرى أنَّ يسوع لم يحصر قط تعاليمه وآماله في أمة اليهود فقط، بل كانت الأرض بأسرها هدفاً له ، بدليل قوله: «جِئْتُ لِأُلْقِيَ نَاراً عَلَى ٱلْأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ ٱضْطَرَمَتْ؟» (الإنجيل بحسب لوقا ١٢:٤٩). وفي نموذج الصلاة الذي علمه في العظة على الجبل، والذي أُطلق عليه اسم الصلاة الربانية قال: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى

ٱلْأَرْضِ» (الإنجيل بحسب متى ٦:١٠). وفي شرح مَثل الزوان قال: الحقل هو العالم (الإنجيل بحسب متى ٣٨:١٣). ولعل أروع ما جاء في عظته على الجبل قوله لتلاميذه: «أَنْتُمْ مِلْحُ ٱلْأَرْضِ، أَنْتُمْ نُورُ ٱلْعَالَمِ» (الإنجيل بحسب متى ١٣:٥ و١٤). كل هذه العبارات ما كان يسوع لينطق بها إلا إذا كان مراده أن تتجاوز رسالته تخوم الأمة اليهودية.

وهناك عبارات صريحة وحاسمة تدل على أنَّ رسالة المسيح عالمية، ولا يمكن أن تقتصر على شعب معين. منها قول ربنا المبارك:

- «وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِٱلْإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ... اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهٰذَا ٱلْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ ٱلْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضاً بِمَا فَعَلَتْهُ هٰذِهِ، تَذْكَاراً لَهَا» (الإنجيل بحسب مرقس ١٠:١٣، ٩:١٤).

- «وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو ٱلْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى ٱلظُّلْمَةِ ٱلْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ» (الانجيل بحسب متى ١١:٨ و١٢).

- «وَهٰكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِٱسْمِهِ بِٱلتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا لِجَمِيعِ ٱلْأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ» (الإنجيل بحسب لوقا ٤٦:٢٤-٤٧).

يتضح مما تقدم أنَّ رسالة الإنجيل جامعة شاملة، وأنَّ يسوع كان يعد التدابير لامتداد الملكوت إلى الأمم، حتى حان الوقت الملائم. ونفهم من قوله «حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم» أنَّ ربنا عرف مقدماً أنَّ عالم الأمم، سيقبل رسالة الإنجيل.